احابيل سياسته فقاطعت الانتخابات . وزادت المعارضة الجماهيرية حدة بعد اشتراك الاردن في حرب اليمن ، حتى ان قائد سلاح الطيران الاردني فر الى مصر ، بكل الخطط التي لديه . كما أن النظام فشل عربيا ، بعد قيام ثورة شباط وثورة اذار(٧).

وذكرت الصحف ، مع بداية سنة ١٩٦٣ ، ان معارضة وصفي التل ، لم تنحصر في الاوساط الجماهيرية فحسب ، بل امتدت الى البرلمان(٨). ويبدو أن وصفي كان يلمس منذ بداية سنة ١٩٦٣ معارضة لوزارته فطرحها على الثقة في اوائل العام، ونالت الثقة بمعارضة ثمانية عشر عضوا ضد اربعين . وحين رد على النواب الذين طالبوا بتنقية الجو العربي اجاب : « لقد مددنا يدنا الى جميع البلاد العربية وعلاقاتنا بها حسنة ، باستثناء مصر » واضاف : لقد طرقنا كل باب محاولين تنقية العلاقات ولكن جهودنا « لم يكتب لها التوفيق لاسباب خارجة عن ارادتنا»(٩).

وتطرق الملك حسين بعد ايام (٦٣/١٠/١٢) الى العلاقة مع سورية ، فذكر انه يهتم بسورية واستقرارها ، وانه لا مطامع له فيها ، الا انه اضاف « ولكن يهمني ان تكون سورية قوية ، لان آبائي واجدادي خدموا حتى تكون سورية عربية ، وحتى تكون سورية حرة بكل معاني الكلمة » . والقى وصفى خطابا في مجلس النواب في اليوم ذاته جاء فيه : أ ــ « ان اتفاق الطائف مبني على اساس دراسة قومية عميقة تهدف الى جني ثمار التعاون بين الاردن والسعودية » . ب ــ « أن سيطرة غير الامام على اليمن بعيدة عن المعقول ومستحيلة » . ج ــ « ان مستوى الحريات الذي أتاحته حكومته غير متوفر في اي بلد عربي اخر » . د ــ « ان سياسة الاردن الاقتصادية اساسها الاقتصاد الحر»(١٠).

وحين حدثت ثورة الرابع عشر من رمضان (٨ شباط) كان تعليق اذاعة عمان : « ان الاردن وهو يؤكد انه غير طامع في اي بلد شقيق ، يؤكد انه على استعداد لمنع اي استغلال في العراق الشقيق وضد الانتهازيين ، مؤديا بذلك واجبه حيال القومية العربية»(١١). ولكن الاردن ، بعد ارفضاض اجتماع مجلس الوزراء اعترف بالنظام الجديد في العراق . وحين حدثت ثورة الثامن من اذار ارسل وصفي التل يوم ٣/٩ برقية الى صلاح البيطار تتضمن الاعتراف بالنظام الجديد . كما أن وصفي التل عقد مؤتمرا صحافيا في اليوم ذاته قال فيه : « انه يتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين في سورية والعراق » . واذيع يوم ٣/١٢ ان الحكومة الاردنية تدرس « الوضع في المنطقة على ضوء الاحداث الاخيرة » .

كان الاردن يشعر بالارتباك ، وبالحصار من جديد، وبدأ وصفي يحاول التراجع ، فاعترف بالنظام الجديد في العراق ، وبالنظام الجديد في سورية ، وتمنى النجاح للتجربتين الجديدتين ، ولم يفته الى ان يشير في مؤتمره الصحفي يوم ٣/٩ « ان جميع العرب » وهو منهم « لم يكن يعجبهم نمط حكم الامام احمد في اليمن ...»(١٢).

وما هي ايام (٣/١٦) حتى كان الملك حسين يعلن في مؤتمر صحافي « ترحيبه بالاتحاد العربي الفدرالي » . واضاف « أن الوحدة العربية محتومة ، وان الاردن يرحب بدخول مثل هذا الاتحاد»(١٣). وكانت مباحثات تجري انذاك بين وفود مصر وسورية والعراق من اجل انشاء اتحاد ثلاثي .

ولكن هذا كله لم يسند حكومة وصفي التل التي كانت الارض تميد من تحتها ، ومن حولها ، ولذلك قدمت استقالتها يوم ٣/٢٧ مشيرة في كتاب الاستقالة الى أن ما جد « من احداث تستدعي النظر في تقدير الموقف العام وقيام حكومة جديدة تضطلع بمسؤوليات هذا التقدير ...»(١٤).

ولذلك ، فبعد قيام ثورة الثامن من اذار بثمانية عشر يوما استقال وصفي التل ، وانتهت فترة وزارته الاولى . ومع انه لم يستطع ان يحقق مهماته الا أنه استطاع ان يدخل التحديث الى السلطة ، وان يستوعب بعض الكوادر الجيدة من ابناء الضفة الشرقية ، وان يوجه ضربة الى الحركة الوطنية .

مرة ثانية وصفي رئيس للوزراء في ٦٥/٢/١٣ . استقال يوم ٦٥/٢/١٣ بهجت التلهوني رئيس وزراء الاردن وكلف وصفي التل مرة اخرى . لقد عاد التل فلماذا عاد ؟ عاد ليكمل الشوط الذي بدأه سنة ١٩٦٢ . وكانت هنالك من الظروف الجديدة ما يقتضي عودته . واهم هذه الظروف : اولا : تفسخ جبهة القوى القومية ، بالصراع الذي بدأ سنة ١٩٦٣ بين البعث وعبد الناصر ،